شروح متون طالب العلم

شرح
القواعد الأربع

لإمام الدعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
رحمه الله (ت ١٢٠٦هـ)

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

هذه رسالة وضعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ - وهي القواعد الأربع -، ومن نهج المصنف ﷺ أن يضع قواعد للعامة وطلبة العلم يسيرون عليها خاصة في أمور الدين، بأسلوب سهل واضح مقروناً بالأدلة، ليكون المسلم على بينة في أمر دينه وليتمسك به.

وهنا المصنف ﷺ ذكر أربع قواعد، وقبل ذكر الأربع القواعد ذكر مقدمة لها؛ وهذه المقدمة إذا ٱستقرت في نفس المسلم قبل تلك القواعد الأربع التي سيذكرها المصنف ﷺ تبيَّن له أن الدين هو التوحيد، وأن التوحيد يفسد بالشرك؛ وتبيَّن له خطر الشرك، وأن الشرك يحبط العمل.

ثم بعد ذلك ذكر القواعد الأربع، وهي:

القاعدة الأولى: أن توحيد الربوبية لا يكفي في دخول الجنة.

القاعدة الثانية: دعوى المشركين في الشرك، وهي: طلب القربة والشفاعة.

القاعدة الثالثة: هي تعدد معبودات المشركين، فليست الأصنام فقط.

القاعدة الرابعة: هي الفرق بين المشركين السابقين واللاحقين؛ يبيّن لنا أن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين.

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ: ....

قال المصنف ﵀: (أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ)؛ منهج الشيخ ﵀ ومنهج الداعية الصادق المخلص: أن يدعو للمدعو؛ وكثيراً ما كان الشيخ ﵀ يدعو ربه لمن يدعوه بالهداية، والسداد، والرشاد، ونحو ذلك؛ وكثيراً ما يصدر الشيخ ﵀ رسائله بالدعاء ـ كما سيأتي في «الأصول الثلاثة وأدلتها». وهذا من أمارة صدق وإخلاص الداعي مع ربه، وفي رسائله الشخصية كتب إلى أحد من يعاديه: «وأنت ممن أدعو له في سجودي بأن الله يهديك»، فيدل على صدقه في الدعوة. هنا قال: «أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ: أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ»، وأيضاً: «اعْلَمْ ـ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ ـ»، وأيضاً: «اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ»(١) كثيراً.

قال ﵀: «أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ»، هنا «الكَرِيمَ» يكون استنباطاً من قول: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣]، فهو يسأل الكريم بأن يمنحك العلم العظيم، وهو علم التوحيد. وأعظم كرم يتكرم الله ﷻ به على عباده هو هدايتهم إلى التوحيد، والحذر من الشرك.

لذلك قال المصنف ﵀: «أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ» فالكريم اسم من أسماء الله، وصفته الكرم؛ فمن كرمه هداية الخلق، ومن كرمه رزق الخلق، ومن كرمه خلق الجنة لمن أطاعه، ومن كرمه إرسال الرسل، وغير ذلك من مكارم الله ﷻ المديدة العديدة.

فسأل الله ﷻ الكريم، ووصفه بأنه «رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ» والعرش أعظم المخلوقات؛ فتوسل إلى الله بأعظم ما خلق لأعظم أَمْرٍ أَمَرَ به ـ وهو التوحيد ـ، وأعظم نهيٍ نَهَى عنه ـ وهو الشرك ـ؛ فناسب ذكر أعظم المخلوقات.

و«**العرش**» وصفه الله بثلاث صفات:

الصفة الأولى: العظمة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) الأصول الثلاثة وأدلتها، متون طالب العلم ص٣٧.

أَنْ يَتوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكـًا أَيْنَمَا كُنْتَ. ....

هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

والصفة الثانية: المجد، كما قال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [البروج: ١٥] على قراءة الجر.

والصفة الثالثة: الكرم، قال سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

فوصف اللهُ العرشَ بثلاث صفات: العظمة، والمجد، والكرم.

قال ﷫: (أَنْ يَتوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) فإذا تولى الله العبد هداه للصراط المستقيم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وقال: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] كما في سورة الحج. فإذا تولى الله العبد رفعه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ وإذا رفع الله ولايته عن العبد ضلَّ، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

فمن رحمة الله ﷻ أن يتولى عباده المؤمنين، لذلك قال المصنف ﵀: «أَنْ يَتوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»؛ «فِي الدُّنْيَا» بالهداية إلى الصراط المستقيم، والبعد عن الشبهات والشهوات، وحفظك منها، «وَالآخِرَةِ» ومن الولاية في الآخرة: الطمأنينة من كروب المحشر وأهواله، ونحو ذلك.

قال ﷫: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكـًا أَيْنَمَا كُنْتَ) يعني: في أي زمان أو مكان حللت فيه؛ وهذه دعوة عظيمة، فالمسلم يدعو لنفسه كثيراً بأن يكون مبارَكاً، فإذا كان مباركاً عمّ نفعه وكثُر، وعيسى ؈ ذكر نعمة الله عليه بذلك، بأنّ الله جعله مباركاً أينما كان، كما قال سبحانه عنه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. ومن بركة المسلم أنه إذا حلَّ في أي مكان: يعلم الآخرين أمر دينهم، كلٌ على ما يعطيه

. ...

الله من الدين والعلم. ومن أعظم البركة التي يجعلها الله ﷻ في عبده: دعوة غيره إلى التوحيد؛ لذلك يوسف عليه السلام وهو في السجن دعا إلى التوحيد ـ وهذا من البركة ـ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ونبينا محمد ﷺ بارك الله في دعوته، فمكث زمناً يسيراً في الدهر ومع ذلك ٱنتشرت دعوته ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وكأنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يمت، وهذا من البركة التي أودعها الله تعالى له.

والأنبياء سألوا ربّهم البركة؛ لأن المبارِك هو الله وحده، كما قال النبي ﷺ عن أيوب عليه السلام: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى!؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»[١]؛ فلا أحد يستغني عن بركة الله سبحانه، ولهذا أمر المسلم إذا أراد أن يعمل عملاً أن يسمي الله، لا سيما في أمور جاء الأمر بها، مثل: ذبح بهيمة الأنعام، وما يؤكل مما أباحه الله، فيقول الشخص: بسم الله، يعني: ٱستعانة وبركة، أي: يا رب أعنّي على هذا الأمر، ويا رب ٱجعل بركتك على هذا الأمر لأني ذكرت ٱسمك عليه. فكل أمر يُذكر الله ﷻ فيه يُرجى أن تحلَّ عليه البركة؛ لذلك إذا دخل المسلمُ المنزل فذكر اللهَ فقال: بسم الله، امتنع الشيطان من دخول المنزل وقال: «لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ»[٢]، وإذا أتى الرجل أهله فقال: «بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً»[٣].

وإذا قيل لك: ما معنى بسم الله؟

تقول: الباء للاستعانة وطلب البركة؛ يعني: يا رب أعنِّي على هذا الأمر، ويا رب أنا أطلب بركتك أن تحلَّ على هذا الأمر.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٠١٨).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٦٣٨٨) ومسلم (١٤٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

. ...

والله ﷻ تبارك وهو المبارِك وحده، فقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ [الفرقان: ١٠]؛ فلا يقال للعبد: تبارك ولا بارك، فلو دخل شخص إلى منزل شخص فلا يجوز أن يقال له: تباركتَ علينا بالزيارة، أو زرنا تبارك علينا، ولا يقال أيضاً: إذا عمل شخص عملاً عظيماً ونحو ذلك ووافق عليه أن يقال: وقد بارك فلان على هذا العمل، لأن المبارِك هو الله وحده؛ وإنما يقال: ودعا فلان بالبركة في هذا العمل، ونحو ذلك. فلا تنسب البركة للعبد، وإنما المبارِك هو الله ﷻ وحده. وهذا يكثر أن يقال: وقد بارك فلان على هذا المشروع، أو على هذا العمل؛ هذا لا يجوز.

وكلما قرب العبد من الله زادت بركة العبد، لأن الله هو المبارِك، وكلما قرب من دينه الذي هو النور ناله من ذلك النور بحسب القرب، وإذا قرب الشخص من القرآن العظيم أيضاً نالته البركة بقدر قربه منه، لأن القرآن مبارَك، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، وقال ٱبن كثير رحمه الله: وفي عهد الدولة العثمانية ـ يعني: عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ ٱنتشرت الفتوحات وٱتسعت، قال: بسبب كثرة تلاوة عثمان رضي الله عنه للقرآن، فلما قرب هذا العظيمُ من أمر مبارك شرعه الله نالت البركة غيره.

فإذا قيل: ما هي البركة؟

البركة هي: التي إذا كانت في القليل كثّرته، وإذا كانت في الكثير نفعته، يعني: الزيادة والنماء. وفي صحيح البخاري: «إِنَّ الخَيْرَ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ»[1].

وتقبيل الحجر الأسود لا يكون من باب البركة، هذا ما يجوز، وإنما تعبداً؛ فلا يقال: أنا أقبّل الحجر الأسود تبركاً به، فلا يجوز هذا الأمر لأن المبارِك هو الله وحده؛ وعليه: فلا يتمسح مثلاً بشخص ويقول: أنال البركة، ولا يتمسح بأعمدة الحرم، أو بالكعبة، أو أستار الكعبة، أو نحو ذلك، ويقول: أنال البركة، لأن المبارِك هو الله ﷻ وحده.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ٱبْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ ٱسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ...

ولهذا قال ﵀: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ»، فإذا كان الشخص مباركاً نفع الله به أينما كان، في الزمان أو المكان.

قال ﵀: (**وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ٱبْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ ٱسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ**) هذه العبارة أخذها المصنف ﵀ من ابن القيم ﵀، فإن ابن القيم ﵀ ذكر أن هذه الثلاث هي عنوان السعادة(١).

وهذه الثلاثة مذكورة كلها في كتاب الله، فمن كان شاكراً صابراً مستغفراً فقد حقق ونال السعادة في الدنيا والآخرة.

قال ﵀: «مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ» وسنة الله في خلقه وعباده: من شكر رفعه الله كثيراً، فالنبي ﷺ شكر ربه، وكان يقوم حتى تتفطر قدماه، فجازاه الله بأعالي الجنان، وهكذا.

ومن فضل الله ﷻ أن من شكره زاد عليه النعم، فعبارة: «بالشكر تدوم النعم» غير صحيحة، وإنما العبارة الصحيحة: «بالشكر تزيد النعم»، فليست تدوم فقط وإنما تزيد وتتنامى بالشكر، لذلك قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال ﵀: «وَإِذَا ٱبْتُلِيَ صَبَرَ» فمن ٱبتلي وصبر حقق شيئاً من السعادة، قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]. وأيوب ﵇ صبر فرفعه الله، وأمر العباد أن يمتثلوا بالصبر، وكذلك ذو النون ﵇، ويوسف ﵇ صبر في الجب، وصبر في السجن، فرفعه الله ﷻ حتى جعله على خزائن الأرض، وبقي ذكر الجميع مخلداً بسبب الصبر، والنبي ﷺ كذلك صبر،

---

(١) الوابل الصيب ص ١١.

. ...

وهكذا، فمنزلة الصبر عظيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والصبر يكون لثلاثة أمور:

الأمر الأول: صبرٌ على المصائب.

الأمر الثاني: صبرٌ على الطاعة؛ يعني: شخص يصبر يتلو القرآن، ويقوم الليل.

الأمر الثالث: صبرٌ على حبس النفس عن المعصية؛ فمثلاً لا يشرب الخمر، ولا يسرق، وهكذا.

ومرد هذه الثلاث ـ كما قال ابن القيم رحمه الله ـ: الصبر على الطاعة؛ فمن صبر على الطاعة فأنه يصبر عن المعصية، وكذلك يصبر على الابتلاء.

والمقصود هنا: الجميع.

قال رحمه الله: «وَإِذَا أَذْنَبَ ٱسْتَغْفَرَ» يعني: ممن أُلهم الاستغفار بعد الذنب، فهذا من أمارة سعادة العبد التي منحه الله عز وجل إياها.

ولهذا أمر الله عز وجل رسله بالاستغفار، قال الله عز وجل: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال الله عز وجل لنبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢]، وأمره أيضاً بالاستغفار: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]. فأمر حتى هو ﷺ بالاستغفار، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]؛ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، فمن أُلهم الاستغفار والعودة والإنابة بعد الذنب فهذا من فضل الله عليه؛ لهذا قال: «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ» يعني: أمارات السعادة مجتمعة.

ثم لما أعطاك هذه المقدمة الأولى ـ وهي: الدعاء لك، وبيان السعادة: «إِذَا أَذْنَبَ ٱسْتَغْفَرَ»

ٱعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ -: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ -: ....

يعني: من وقع في الشرك ثم ٱستغفر، «إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ» أعطي التوحيد وشكر، «وَإِذَا ٱبْتُلِيَ صَبَرَ» صبر على ما يلاقيه من الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، إذا فعلت هذه الأمور تنال السعادة ـ بدأ في المقدمة الثانية، وهي: أن الله خلق الخلق للعبادة، وأن التوحيد لا يسمى توحيداً إلا إذا خلص من الشرك، ثم بيَّن خطر الشرك، وأن الشرك إذا خالط العبادة أفسد العمل.

قال ﷺ: (ٱعْلَمْ) يعني: ٱعلم ولا تكن جاهلاً لأن الأمر الذي سوف أذكره لك هو أعظم أمْرٍ أمَرَ الله به عباده، فٱفهمه ولا تكن غافلاً عنه. (أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ) يعني: هداك ودلَّك إلى الطريق المستقيم، ودلَّك للطاعة وأبعدك عن المعصية.

والنبي ﷺ قال لعلي ﷺ: «قُلِ: ٱللهُمَّ ٱهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» قال: «وَٱذْكُرْ بِالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ»[(١)] وقال لمعاوية ﷺ: «اللَّهُمَّ ٱجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً وَٱهْدِ بِهِ»[(٢)].

وكل مسلم أمره الله أن يدعو ربه بالهداية، يعني: بالدلالة عليها؛ وإذا دُلّ عليها بالثبات عليها في قوله سبحانه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فواجب على كل مسلم أن يدعو ربه في اليوم والليلة بالهداية في صلواته الخمس لأهميتها.

(أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ - مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ -) كأنه يقول: بأن توحيد الله سبحانه ليس بدعاً على هذه الأمة، وليس مما أنا أتيتُ به، بل هي: ملة إبراهيم. فـ«مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» بدل من «الحَنِيفِيَّةَ» في إعرابها، يعني: كأنه قال: ٱعلم أرشدك الله لطاعته أن ملة إبراهيم: الحنيفية، التي أمر الله ﷻ بٱتباعها في قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨]. فملة إبراهيم التي هُدي إليها جميع الناس هي: الحنيفيّة.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٥) من حديث علي ﷺ.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣٨٤٢) وأحمد في مسنده (١٨١٧٩) من حديث عبد الرحمن بن أبي عميرة الأزدي ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصـًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ ....

وقوله: «الحَنِيفِيَّةَ» الحنف: الميل، و«الحَنِيفِيَّةَ» هي: الطريقة التي مالت عن الشرك وهديت إلى الصراط المستقيم. وهذه الحنيفيّة الصراط المستقيم هي «مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» يعني: عقيدة إبراهيم التي أمره الله ﷻ بها، وسار بها، ووصى بها ذريته، ودعا إليها.

ما هي؟ قال: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصـًا لَهُ الدِّينَ**) هذه هي الحنيفيّة.

فإذا قيل لك: ما هي دعوة الرسل؟

تقول: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصـًا لَهُ الدِّينَ».

فقوله: «وَحْدَهُ مُخْلِصـًا» هذا قيد لا بد منه، فلو قال: أن تعبد الله له دينه، ما يستقيم الكلام، لماذا؟

لأنه لا يكون فيه نفي، فقوله: «مُخْلِصـًا» يعني: نفي عبادة غير الله، فجعل فيها الإخلاص لله وحده سبحانه دون غيره. وهو معنى: لا إله، فقوله: «مُخْلِصـًا» قيد لا إله، بمعنى النفي في لا إله إلا الله.

قال ﷺ: (**وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ**) يعني: لا تستنكف عن هذا الأمر، ولا تعرض عنه، ولا تستثقله، فإن هذا الأمر أمر الله به جميع الناس، فٱصغِ سمعك له.

فمثلاً: لو قال شخص في الجامعة: «هناك أمر يجب على جميع الطلاب أن يعرفوه، ويفهموه حق الفهم، لأنه أمر مهم يجب على كل طالب أن يدركه»، لا شك أن القلوب سوف تتوجه إليه. لذلك قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ» فٱشحذ الهمة لمعرفته، وٱسْعَ إلى فهم معانيه، وٱدعُ له، وٱحذر ضده.

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ» يعني: بالحنيفيّة، (**وَخَلَقَهُمْ لَهَا**) أي: للحنيفيّة، يعني: للتوحيد؛ الله أمر جميع الناس مِن خلق آدم إلى قيام الساعة بتوحيد الله.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. ....

وأصل الكلام تقديم وتأخير، لكن الواو عاطفة لا تفيد الترتيب؛ الأصل: خلقهم الله، وأمرهم بذلك الأمر، فأمرهم بعد أن خلقهم.

(**كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**) أي: إلا ليوحدوني، فحتى الجن مأمورون بتوحيد الله ﷻ، فخلقهم ليعبدوه وحده.

قال ٱبن عباس ﵄: «كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد»(١) فقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧] يعني: وما خلقت الجن والإنس إلا ليوحدوني، ما أريد منهم من رزق. وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] يعني: يا أيها الناس وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم، وغيرها من الآيات.

فهذه هي بداية المقدمة التي يسوقها المصنف ﵀ في بيان مقدمة عظيمة يأخذ منها نتيجة أربع قواعد سيذكرها المصنف ﵀. وهذا من عظيم صنيع المؤلف وتوفيق الله له بتسلسل الأفكار، وبيان الأدلة، وسهولة العبارة وجمع المعاني الكثيرة لها، مع تعليق الإنسان بربه ﷻ.

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٧٤.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ: فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، ....

لما ذكر ﷺ بأن الله خلق الخلق لعبادته -كما قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾» - لا زال المصنف ﷺ يذكر المقدمات التي يريد أن يصل إلى النتيجة فيها، وهي:

الأمر الأول: الله خلق العباد من أجل التوحيد.

الأمر الثاني: لا تصح عبادة إلا مع التوحيد.

الأمر الثالث: لو دخل الشرك في العبادة تفسد تلك العبادة.

إذا عرفت هذا الأمر، يجب عليك أن تعرف التوحيد وضده بمعرفة أربع قواعد، ولهذا قال: (**فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ**) الشيخ ﷺ يضع لك وسائل حتى يصل إلى نتيجة؛ يعني: علمنا أن الله خلقنا لعبادته، فكيف تصح وتقبل هذه العبادة عند الله؟

لا تقبل إلا بالتوحيد، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. والنبي ﷺ كان يقول بعد الصلاة: «لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»[1].

قال: (**فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ**) أي: فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة صحيحة مقبولة إلا مع التوحيد؛ أما في الصورة فقد توجد عبادة سجود وركوع لكن غير صحيحة، فليس كل عبادة تصح - من زكاة أو حج - بل لا بد لها من شروط.

وشرط كل عبادة أمران: الإخلاص، والمتابعة. فإذا لم يتوفر هذان الشرطان: تبطل جميع العبادات، فأي عبادة شرعها الله لا تسمى عبادة إلا إذا كان دين الشخص سالماً من الشرك وموحداً لله؛ مثال ذلك: لو أن الشخص يصوم لكنه يشرك بالله ﷻ بالذبح عند القبور، نقول:

---

(١) رواه مسلم (٥٩٤).

كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ. فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ،

عبادة الصيام لا تصح لوجود الشرك عند هذا العبد بالذبح، ومثلاً شخص يبر بوالديه كثيراً، هذه عبادة عظيمة، لكن يطوف على القبور، نقول: هذه العبادة العظيمة التي يفعلها ـ وهي: بِرُّه بوالديه ـ لا تسمى عبادة مقبولة، تفسد بسبب وجود شرك في هذا العبد، ونوع الشرك الذي وقع: الطواف على القبور، وهكذا. وإن كان مثلاً: شخص لا يوحّد الله، ويتصدق، لا تُقبل منه الصدقة. لذلك قال: «فَٱعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ» يعني: أن جميع العبادات التي يفعلها العبد لا تسمى عبادة صحيحة مقبولة إلا مع التوحيد.

ثم قاس بمثال يوضح ذلك للعبد المسلم، فقال: (**كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ**) يعني: كالصلاة، لا تسمى صلاة صحيحة مقبولة إلا بوجود شرط الطهارة؛ فلو أن شخصاً صلى العصر بدون طهارة لا تصح هذه الصلاة، ولو صلى المغرب والعشاء بنفس ذلك الحدث نقول: كذلك المغرب والعشاء لا تقبل، كما لم تقبل العصر؛ لوجود خلل فيها وهو وجود الحدث الذي وجد من صلاة العصر، وهكذا.

لماذا لم تصح الصلاة وفيها ركوع وسجود؟

نقول: لأنها افتقرت لشرط صحتها وهو الطهارة، وكذلك التوحيد شرط لصحة جميع العبادات فلا تقبل بدونه.

وهذا مثال عقلي عظيم، يفهم به العاقل أهمية وجود التوحيد مع كل عبادة. ولو أن شخصاً أمسك عن الأكل والشرب دون نية لم يصح صومه ويسمَّى صائماً.

بعد أن قرّر لك أنّ العبادة لا تصح إلا بالتوحيد، ذكر عكس هذه المسألة: لو حدث في العبادة شرك: تفسُد؛ فقال: (**فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ**) والألف واللام للجنس، يعني: جميع أنواع العبادات، لو وقع الشرك فيها: تَفسد. وسيأتي توضيح ذلك في العبارة التي ستأتي.

كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾. **فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ:** ....

قال ﷺ: (**كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ**) يعني: شخص متوضئ، فلما أحدث نقول: الحكم فسدت تلك الطهارة؛ كذلك عندنا عبادة إذا دخل فيها الشرك نقول تفسد.

فإذا قال شخص: هل يعقل أن وجود شرك في عبادة واحدة يفسد جميع العبادة؟ فكأنه يقولك لك: معقول أنّ الشخص يتصدّق بملايين، فإذا ذبح لغير الله بشاة بخمسمائة ريال، جميع أعماله تبطل؟

نقول: نعم، أنا أمثّل لك: الصلاة، لو دخل فيها الحدث: تبطل؛ لو قام شخص يصلي ساعة كاملة، وأحدث لو بريح يسيرة، تبطل الصلاة جميعها.

ومثّل الشيخ ﷺ في غير هذا الموضع، قال: فلو أنّ نقطة بول خرجت وأنت تصلي: بطلت الصلاة، وهي نقطة واحدة يسيرة من بول، كذا الشرك المظلم العظيم لو وقع في عبادة من باب أولى يفسد تلك العبادات، بل إذا كان النوم ينقض الوضوء فما ظنك بالشرك؟ لا يفسد العبادة؟ وهذا في صريح القرآن بإفسادها كما سيأتي.

فلما بيّن لك هذه القاعدة العظيمة وهي: «فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ»، قال: (**فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبادَةَ**) هذه المقدمة الأخيرة للنتيجة التي سوف يصل إليها.

ويترتب على الشرك عدة أمور، قال ﷺ: (**أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ**) والأمر الرابع ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ ....

هذه أربعة أمور يترتب عليها الشرك.

فإذا كان كذلك وجب عليك أن تعرف الدين بأربع قواعد ذكرها المصنف رحمه الله.

لذلك قال رحمه الله: «فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبادَةَ» خالطها وليس كساها جميعاً، وإنما: إذا وقع الشرك في شيء من أنواع العبادات، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة، في أيّ نوع من أنواع العبادة ـ نذر، طواف، عكوف عند القبر، دعوة أموات ـ: «أَفْسَدَهَا» يعني: أفسد العمل المقارن لها.

كيف؟

الذبح لله عبادة، فلو أن شخص ذبح عند قبر لغير الله أفسدها، يعني: هذه العبادة لم تقبل لوجود الشرك فيها، فالشرك يفسد نفس العبادة المقارنة، مثل شخص يصلي كبَّر رياءً لأحد الناس، فهذه الصلاة تبطل، لذلك قال: «أَفْسَدَهَا» يعني: أفسد العمل المقارن لها، «وَأَحْبَطَ العَمَلَ» يعني: أحبط جميع الأعمال غيرها، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، «وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ» يعني: صاحب تلك العبادة التي خالط الشرك عبادته، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]. والشرك قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨] فمما يوجبه الشرك أنه لا يغفر، ولو أن عبداً فعل ما فعل دون الشرك فهو تحت المشيئة، والشرك يغمس صاحبه في النار ولا يغفره الله.

قال رحمه الله: (**عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ**) يعني: يجب أن تعرف التوحيد، وتعرف

لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ. وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ....

ضده: وهو الشرك بالله؛ فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، والشرك يفسد تلك العبادة، وجب عليك أن تعرف العبادة الصحيحة وتحذر من الشرك، فيجب عليك أن تعرف الأمر الخطير، وهو: الشرك، لتحذره.

لماذا يجب عليك معرفة ذلك؟

لأنه خطير، يُفسِد العمل، مثل: النجاسة تُفسِد الصلاة.

قال ﷫: (**لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ**) يعني: لعل الله أن يخلصك من ذلك الأمر المظلم المدلهم الخطير، فـ«الشَّبَكَةِ» هي: شبكة الشرك، شبكة شائكة لا يخرج منها الشخص إلا بالتوحيد، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، مثل الشبكة ما ينجو منها إلا من شاء الله، وهم القلّة مِن عباد الله، لذلك الله يقول: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [هود: ١٧] فما ينجو منها إلا قليل، قال ﷻ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ﷫: (**وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ**) كأنه يقول لك: أنا أعطيك أربع قواعد، تساعدك على معرفة التوحيد لتستمر عليه، ومعرفة الشرك لتنبذه.

وقوله: «ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ» لتعلم أن منهج المصنف ﷫ في دعوته هو اتباع الكتاب والسنة، ولم يأت المؤلف ﷫ بشيء من عنده.

ومن صنع المؤلف ﷫، ومما وهبه الله له في التأليف: وضع قواعد ليسير عليها المسلم في حياته، ينتفع بها المبتدئ والمنتهي، وعدم الإطالة في الكلام أو في التأليف. وهذا معروف عنه في مؤلفاته، وهذا مما وُفق به الشيخ ﷫. وهذه القواعد الأربع سيأتي بيانها.

القَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ: أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ، المُحْيِي المُمِيتُ، المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ؛ ....

لما ذكر المصنف ﵀ المقدمة النافعة العظيمة في بداية رسالة القواعد، وهي: خطر الشرك ووجوب الحذر منه، ووجوب فهم التوحيد فهماً صحيحاً، قال: وأن ذلك لا يمكن إلا بأربع قواعد، والشيخ ﵀ في غير هذه الرسالة يقول: وأعدائي ينقمون عليّ أمرين ٱثنين:

الأمر الأول: قتالهم.

والأمر الثاني: تكفيري إياهم.

فالآن يريد أن يقرر أنّ الرسول ﷺ قاتل من وقع في هذا الذنب، فلماذا تلوموني على فعل فعله الرسول ﷺ؟! لذلك قال: (**القَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ: أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ، المُحْيِي المُمِيتُ، المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ**).

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية؛ وهو أصل التوحيد، وهو اعتقاد أن الرب هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون بصفات وأسماء عظيمة، وأن ذلك يستلزم توحيد الله بألوهيته، لكن لما ٱختلف البشر بعدم الاستجابة في التوحيد: منهم من أقر بتوحيد الربوبية فحسب، ومنهم من أقر بتوحيد الربوبية والألوهية وأنكر الأسماء والصفات؛ أُفرد كل نوع.

والذي فيه النزاع هو توحيد الألوهية بالنسبة للعبادة بين الرسل وأقوامهم، وبعد زمن النبي ﷺ بفترة طويلة ظن بعض الناس أن التوحيد الذي يدخل الجنة هو توحيد الربوبية فحسب، ولا يحتاج إلى توحيد الألوهية، وشاع ذلك في أزمان طويلة وقرون كثيرة من قرابة القرن الرابع فما بعده، وإلى الآن منتشر هذا المعتقد الفاسد بأنه يكفي في دخول الجنة توحيد الربوبية.

والمصنف ﵀ ذكر في هذه القاعدة كأنه يقول لك: أنه لا يكفي في دخول الجنة توحيد

....

الربوبية، بل لا بد من توحيد الألوهية مع توحيد الربوبية.

فـ«توحيد الربوبية» هو الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، لا بد من هذه الأمور الثلاثة حتى يكون الشخص قد وحد الله في ربوبيته. وهذه الثلاثة ذكرها الله في كتابه، يعني: لا يكفي أن يقول الشخص: أن الله هو الخالق، أو الرازق، أو الخالق الرازق.

«الخَالِقُ» كما قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

«الرَّازِقُ» قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١].

«المُدَبِّرُ» قال تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣١]، وكذا قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: التدبير.

فلو قال شخص: أن الله هو الخالق فقط.

نقول: يختل توحيد الربوبية عنده؛ فإذا خلقهم فإنهم محتاجون إلى رزق لكيلا يموتون، فلا بد من إثبات صفة الرزق لله وصفة الربوبية لله، فنقول: «الرَّازِقُ». فإذا قلنا: «الخَالِقُ الرَّازِقُ»، خلقهم ورزقهم، لكن سوف يعيشون هملاً، لا يعلمون كيف يعيشون في هذه الحياة، وكيف يتناكحون، وكيف يأكلون من الحل أو الحرام، فأتى الوصف الثالث: «المُدَبِّرُ»، فدبر الكون في العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين. فتدبير الكون بهذا الفعل البديع العظيم من ربوبية الله ﷻ.

من أقر بهذه الأمور وعبد مع الله غيره لا ينفعه هذا التوحيد. فلا بد مع توحيد الربوبية من توحيد الألوهية.

فالقسم الثاني: توحيد الألوهية؛ ومعنى «توحيد الألوهية»: إفراد الله تعالى بأفعال العباد؛ كل فعل يفعله العبد يجب أن يصرفه لله وحده، فإذا صرف العبد العبادة لله وحده فهنا حقق العبد توحيد الألوهية؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟

....

ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

فـ«توحيد الألوهية» إفراد الله بأفعال العباد، و«توحيد الربوبية» إفراد أفعال الرب.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات؛ أي: إثبات الأسماء والصفات لله.

وكفار قريش «مُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ، المُحْيِي المُمِيتُ، المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ» ولا ينكرون فعلاً من أفعال الربوبية، لأمرين:

الأمر الأول: لأن الفطرة تحدو بهم لذلك.

الأمر الثاني: لأنهم لا يجحدون أفعال الله، فعقولهم أوفر ممن بعدهم في التوحيد، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧] معترفون بالخلق، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] معترفون، وقال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقال: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وهكذا.

فجميع أفعال الربوبية مقرّون بها، ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ لأنهم لم يكملوا توحيد ربهم بتوحيد الألوهية، فلما لم يفردوا أفعالهم لله ﷻ وحده قاتلهم النبي ﷺ على ذلك، لذلك قال ابن القيم وغيره: خصومة الرسل مع أقوامهم في توحيد الألوهية، وقلَّ من البشر أن يوجد من ينكر أفعال الله، يوجد لكن قلة: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] يعني: جحدوا الربوبية. وممن أنكر توحيد الربوبية: فرعون، قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ما في رب، أنكر ذلك، تعالى الله عن ذلك.

فمقصود المصنف ﵀ في هذه القاعدة العظيمة: أن توحيد الربوبية وحده لا يكفي، وبالجهل بهذا لُبّس على كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وقالوا: يكفي أن الله هو الخالق الرازق،

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. ....

ونقول: لا إله إلا الله، ولا نحتاج إلى إفراد الله بالعبادة.

فمن هنا أتى الخلل في المعتقد، ولو أيقن العبد بأنه لا يكفي توحيد الربوبية ولا بد من توحيد الألوهية لاندثرت كثير من معالم الشرك في الأرض، لذلك قال المصنف ﷀ: «القَاعِدَةُ الأُولَى: أَنْ تَعْلَمَ: أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ» جعل لهم وصف الكفر ووصف القتال، فلم يقاتلهم النبي ﷺ إلا بعد تكفيرهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] لما ذكروا أنهم لا يعبدون تلك الأصنام إلا لطلب زلفى. والله ﷻ قال له: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

فإذن القتال من أجل عدم توحيد الألوهية.

فالمصنف ﷀ يقول: توحيد الربوبية ما يكفي لدخول الجنة، لا بد أن يكون معه توحيد الألوهية، لذلك قال: «مُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ، المُحْيِي المُمِيتُ، المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ ذَلِكَ فِي الإِسْلَامِ» يعني: هم يقولون: نحن مقرّون بتوحيد الربوبية، نعلم أنّ الله خلق ورزق، فلماذا نُكفَّر على هذا الفِعل؟ فهم أتوا بتوحيد الربوبية ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ لكفرهم.

(**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:**) كأن المصنف ﷀ يقول لك: إذا أردت أن تعرف أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية، وأن ذلك لم ينفعهم في عصمة دمائهم وأموالهم ونسائهم، فاْقرأ قولَه تعالى: (﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾) يعني: أفلا تتقون الشرك وتدخلون في الإسلام، فدلّ على كفرهم. وقاتلهم النبي ﷺ وهم مقرّون بذلك،

. ...

لأن الله قال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، يعني: ما يأتون بتوحيد الألوهية.

ومن هذه القاعدة: تتضح شبهة؛ فقد يقول شخص تقول له: الطواف على القبر، وسؤال الميت: شرك!، فيقول: يا أخي أنا أقول: لا إله إلا الله، فلماذا تقول: شرك؟ لذلك قال الشيخ ﷫ في كشف الشبهات: «اعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها. وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)»[1] يعني: يتمسّكون بها، لذلك بيّن أنها أوّل قاعدة، فمَن قال: «لا إله إلا الله» وهو يأتي بضدّها: ما تنفعه.

وكذا لو قال لك شخص: أنا أحبك، وهو يضربك، ويقتلك؛ فدلّ على أنّه يكذب في هذا القول.

فهذه القاعدة العظيمة التي يجهلها كثير من الناس: أن توحيد الربوبية وحده لا يكفي لدخول العبد الجنة، فلا بد معه من توحيد الألوهية.

---

(١) كشف الشبهات ص ٣٦.

(**القَاعِدَةُ الثانِيَةُ**) ذكر المصنف ﷺ هذه القاعدة ليبيّن أن شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ كان في شركٍ أخف من الشرك الذي يفعله المشركون الآن؛ فكان شركهم السابق لا يطلبون من اللات أن ترزقهم، ولا أن تمطر السماء ماءً، ولا أن تحيي الموتى، وإنما كانوا يطلبون من اللات والعزى وغيرها من الأصنام الشفاعة والقربة، ويقولون: نتقرب بها إلى الله ﷻ زلفى.

«قربة» يعني: يقولون: يا اللات أنت قريبة من الله، ٱدع لنا ربكِ ينزل لنا المطر؛ هذا شرك المشركين، ما يطلبون منها هي، بل: يا لات ٱطلبي من الله.

أو «زلفى» يقولون مثلاً: يا اللات قرّبينا من الله ليستجيب دعائنا بأن يغيث لنا البلاد.

فهذا هو فقط شرك المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ، ونزل القرآن فيهم. ودعوة الرسل جميعاً من أجل التحذير من هذين الأمرين.

وشرك المشركين في الأزمنة المتأخرة: لا يطلبون لا قربى ولا شفاعة بل يطلبون منهم، مثل: يا اللات ٱشفِ مريضنا، يا عزى ٱنصرينا على كذا وكذا، ويا مناة أغيثينا من الكرب، يا حسين، يا بدوي، يا عبد القادر أغثنا، أعطنا، ٱرزقنا، ٱشفنا، نجنا من الكرب، ونحو ذلك - والعياذ بالله -. فنسوا رب العالمين تماماً، وجعلوا الرب هو من دعوه، ولم يطلبوا القربة والشفاعة كما فعل المشركون الأوائل، بل إنهم جعلوا الرب من يدعونهم من دون الله، والعياذ بالله.

فأصبح شرك المشركين المتأخرين أعظم شركاً من المتقدمين، أعظم كفراً من كفار قريش - والعياذ بالله -.

فذكر المصنف ﷺ هذه القاعدة الثانية، لأن المشركين في عصره يقولون: نحن ما طلبنا من الأموات ولا من الأصنام أن تغيثنا أو تزيح عنا الكرب. فماذا تريدون؟ قالوا: نريد منهم الشفاعة أو القربى. فبيّن المصنف ﷺ أن هذا سواء بسواء، هو شرك المشركين الذين توعدهم الله تعالى في كتابه، بل هم أبشع شركاً من الأولين لجحودهم الربوبية لله ﷻ لذلك قال: (**أَنَّهُمْ يَقُولُونَ**) أي: الكفار والمشركون: (**مَا دَعَوْنَاهُمْ**) يعني: شرك الدعاء. وخصّ المصنف ﷺ شرك

وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ، إلاَّ لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ. فَدَلِيلُ القُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ....

الدعاء لأن شرك الدعاء هو كما قال ٱبن القيم: «أصل شرك العالم»[1]، هو أكثر من الذبح والنذر لغير الله، فتجد أكثر من يأتي القبور يدعوهم من دون الله؛ لذلك قالوا: (**وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ**) هذه لفظة عامة بعد خاصة، والمراد بالتوجه إليهم: يدخل فيه النذر، والذبح، والاستغاثة، والطواف، والحلف، ونحو ذلك. قالوا: (**إِلاَّ لِطَلَبِ القُرْبَةِ**) يعني: الزلفى، فقط لتقربنا من الله، (**وَالشَّفَاعَةِ**) فقط لتشفع لنا عند الله.

فإذا قيل: ما هي شبهتهم في ذلك؟

فنقول: طلب القربة والشفاعة، المشركون يزعمون بشبهة شيطانية ألقاها الشيطان عليهم، يقولون: إن ذنوبنا كثيرة ونحن تلطخنا بها، فلا نستطيع أن نخاطب الله ـ قاسوه بالبشر ـ فنقول لهذا: ٱطلب لنا من ربك ـ ٱستكباراً ـ فنحن لن نخاطب الله، وإنما نطلب من غير الله هو يخاطب لنا الله، فنحن مستكبرون لا نخاطب الله لأن غيرنا أفضل، ونحن لسنا أهلاً لذلك. ٱستكبروا على الله، لذلك قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] فأخبر الله ﷻ بأن من أعرض عن دعائه وطلب من غيره وهو يدعو، بأنه: مستكبر، كما يفعله المشركون.

قال ﵀: (**فَدَلِيلُ القُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾**) يعني: يقول: يا صاحب القبر ٱطلب من ربك أنه يغفر لي، لأنه أقرب مِن الله، هذا: شرك ـ والعياذ بالله ـ «إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ» هذا قول المشركين ٱنظر إلى الحصر: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ» يريدون من اللات أن تقول لله: عبدك فلان يريد أن يتقرب لك، عنده حاجة ٱسمع حاجته.

---

(١) مدارج السالكين ١/٣٥٣.

إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾. **وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ؛ قَوْلُهُ تعَالَى:** ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ....

فذكر الله ﷻ قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾) الحكم: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾) فحكم الله على من فعل ذلك: بالكذب عليه ﷻ، والكفر.

قال: (وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ؛ قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾) فقط يشفعون لنا عند الله، يعني: يريدون أن يشفعوا لهم، واسطة بينهم وبين الله؛ عندنا قحط، يقولون: يا فلان ـ ميّت ـ: قل لربك ينزل علينا المطر، نقول لهم: لم لا تدعو أنت؟ يقولون: لا، هو ميّت قريب من الله، نقول: هذا هو الشرك بعينه، شرك المشركين ـ والعياذ بالله ـ.

ومع ذلك أمر النبي ﷺ بقتالهم، يعني: لو قال لك من يطوف على القبور والأضرحة: نحن نعتقد بأن لا البدوي ولا زينب ولا غيرهم ينفعوننا أو يضروننا، وإنما نحن ما نعلم كيف نخاطب الله فنطلب من هذا الولي أو الصالح أن يدعو لنا ربنا.

نقول: هذه بعينها هي شبهة المشركين ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ما هو الواجب؟

الواجب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] الشخص يدعو ربه: يا الله، يا رب، يا قوي، يا عظيم، يا متين، ونحو ذلك؛ فهو سبحانه الذي يكشف الكربات ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعام: ١٧]. فواجب على المسلم وعلى العبد أن يتوجه بكليّته إلى الله، ولا يلتفت بقلبه إلى أحد من المخلوقات، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صالح، ولا شجر، ولا صنم، ولا جن، ولا غير ذلك؛ وإنما من كرم الله، وعظمته،

....

وفضله، وجوده، وإحسانه أنه يستجيب لدعوة كل داعٍ: طفل، مميز، صغير، كبير، ذكر، أنثى، عربي، أعجمي. فمِن شكر هذه النعمة أن الإنسان لا يتوجه إلا إلى ربه سبحانه وتعالى.

ومِن فضل الله أنه لم يحوجنا إلى فعل هذه العبادة العظيمة التي يحبّها إلى أحد غيره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] فالله قريب منك إذا دعوته، فلماذا تلجأ إلى غير الله؟!

وسأمثل لكم بمثال ليُعرَف بشاعة الأمر:

لو عندنا ـ مثلاً ـ رجل عظيم، كرئيس، أو ثري، أو غني، وعنده ولد صغير ـ معه طفل ـ، ونقول: يا طفل، يا صغير ـ وهو أصم وأبكم ـ قل للرئيس هذا يعطينا مال، نحن ليس عندنا شيء، في فقر شديد ـ ولا يسمعنا هذا الطفل الصغير الأصم ـ يا أخي قل لأبيك يعطينا وظائف، وهو أصم وأبكم، هل تُحقَّق الرغبة؟ لا تتحقق. لذلك الله يقول: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١]. لماذا تدعوهم وتطلبون منهم، والله ﷻ قال عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] هذا جانب، من ناحية: عدم الٱستجابة.

ومن الجانب الآخر: هذا الرئيس أو الغني، ما موقفه منك مما تفعله؟ هو أمامك، وأنت تذهب لهذا وتقول: قل له. طيب، قل لي أنا! ففيه هضم لجناب هذا الرجل، لذلك النبي ﷺ في الحديث القدسي يقول: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١)، قوله: «أَغْنَى» يعني: أنا غني، تذهب لغيري! لا أريدك، أنا عندي كل شيء، تعال إلي، ٱطلب مني ما شئت؛ لذلك ٱبن القيم ـ وغيره ـ يقول: «هضم لجناب الربوبية» الذهاب لغير الله: انتقاص لله.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. **وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ. وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ.** ....

قال ﷺ: «**وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ**» لأنهم يقولون: لماذا تقولون لنا أننا ندعوا صاحب القبر، نحن لا ندعوه، نحن نطلب شفاعة، ووساطة، والنبي ﷺ يوم القيامة يشفع.

نقول: لا، هناك شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

(**فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ**) من الأموات، أو الأحياء العاجزين، أو الغائبين (**فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ**) كمغفرة الذنب، والشفاء، وغير ذلك.

(**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾).

مثل هذه الشفاعة: باطلة، لا أحد يستطيع أن يشفع إلا إذا أَذِن الله، ورضي عن المشفوع له.

(**وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ**) والشفاعة التي يطلبها مِن الرب، مثلاً يقول: يا رب ٱجعل النبي ﷺ يشفع لنا، طلب شفاعة صحيحة. ولو يقول شخص: يا رب ٱجعل الصالحين يشفعون لي، نقول: صحيح؛ لأنها مطلوبة من الله.

(**وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ**) يعني: الشافع هذا مُكرَّم، لأنّ الله قَبِلَ شفاعته. والمشفوع له كذلك أُكرِم بما فيه الخير له.

وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾. ....

(**وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ**) يعني: المقصّر هذا لا بد أن يكون موحِّداً، إذا أذِنَ الله أنْ يُشفَع له. (**كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾**) فالمشفوع له: يجب أنْ يكون موحِّداً.

لذلك في صحيح البخاري عن أبو هريرة ﷺ أنه قال: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَقَالَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ؛ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»[١]. يعني: يوم القيامة يشفع الأنبياء، ويشفع الصالحون، ويشفع الشهداء، وتشفع الملائكة، أي: يتوسّطون عند الله ألا يُعذِّب من ٱستحق النار من أهل التوحيد، أو أن يُخرِج من النار أحداً من أهل التوحيد.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٠) وفي رواية (٩٩): «مِنْ قَلْبِهِ أَو نَفْسِهِ».

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ. وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ ....

قال ﵀: (**القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ**) هذه هي القاعدة الثالثة من القواعد الأربع التي ذكرها المصنف ﵀، وهي قاعدة عظيمة.

فهم يقولون: إنّ شرك المشركين هو في الأحجار، في اللات والعزى ومناة. والشيخ هنا يقرر ويضع قواعد يبيّن لك التوحيد، ويبيّن ضده، وهو: الشرك، وأنه لا فرق بين أنواع الشرك، فلا فرق بين عبادة الأوثان وعبادة الأموات، فمن وقع في أي نوع من أنواع الشرك فإنه يُكفّر بذلك الشرك ويستتاب، فإن لم يتب فللمسلمين أن يقاتلوه. فصرف العبادة لغير الله - سواء لملَك، أو نبي، أو شجر، أو حجر، أو وثن -: شرك.

قال ﵀: (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ. وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ**) فمن أتى بأيّ نوع من أنواع الكفر يُقَاتَل.

ومن أنواع الكفر التي يأتي بها الكفار: الكفر بالبعث، وقاتلهم النبي ﷺ عليه، قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ومن أنواع الكفر: الكفر بالرسالات، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢] يعني: ٱدعاء بأن لله ولداً، فأخبر الله تعالى بكفرهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ﴾ [المائدة: ٧٣].

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾. فَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ؛ قَوْلُهُ ....

ومن رضي غير حكم الله أخبر الله ﷻ أنه كافر: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فالكفر أنواع، والنبي ﷺ قاتل من ظهر منه أيُّ نوع من أنواع الكفر. وكأن المصنف ﵀ يقول لك: إن الشرك ليس خاصاً بعبادة الأصنام كما يفعل كفار قريش، بل أي نوع من أنواع الشرك: دعوة الأصنام، أو دعوة الأنبياء، أو الملائكة، أو الأشجار، أو قبور الصالحين، فدعوتهم من دون الله كلها كفر، وهذا هو مقصود المؤلف ﵀. فكل من عبد غير الله فهو كافر.

وكما سبق: أنهم ٱستنكروا على الشيخ هذين الأمرين:

الأمر الأول: كيف تكفروننا ونحن نقرّ بتوحيد الربوبية؟ فذكره في القاعدة الأولى.

والأمر الثاني: كيف تقاتلوننا ونحن نقر بتوحيد الربوبية؟ ذكره في القاعدة الثانية

فإذا قيل لك: لماذا أورد المصنف هذه القاعدة؟

تقول: لأن الكفار في عصره يقولون أن الشرك فقط هو عبادة الأصنام كما كان كفار قريش يفعلونه. والمصنف ﵀ قال: لا، حتى عبادة الأنبياء، والأولياء، والأشجار، والأحجار، والصالحين: كفر؛ لذلك قال: «وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ» قاتل الجميع، كل من عبد غير الله.

ثم بعد ذلك أعطاك الأدلة أن في زمن النبي ﷺ نزل القرآن لعدّة أنواع للشرك.

قال ﵀: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾**) كل كافر (﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾) «كُلُّهُۥ» يعني: كل الدين، لا شجر، لا حجر، لا ملائكة؛ هذه الآية عامّة.

ثم بعد ذلك بدأ يذكر بعض ما عُبد من دون الله، قال: (**فَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ؛ قَوْلُهُ**

تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. **وَدَلِيلُ المَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾. **ودليل الأنبياء؛ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾. ....

تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾) ففي زمن النبي ﷺ منهم مَن يعبد الشمس والقمر، وإلى الآن يوجد من يعبد الشمس؛ فدلّ على أن عبادة الشمس والقمر ـ من سجود وغيره ـ: شرك.

قال: (**وَدَلِيلُ المَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾) وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]؛ وهذا الدليل يصلح للملائكة ويصلح للأنبياء كذلك، يعني: ٱتخذوا الأنبياء، وٱتخذوا الملائكة أرباباً، أي: معبودين من دون الله. وإنما الرسل يأمرون بعبادة الله وحده، قال سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] فجميع الرسل يأمرون بعبادة الله وحده.

قال: (**ودليل الأنبياء؛ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾) ٱتخذوا عيسى إلهً، هنا عبدوا نبياً وليس حجراً، فدل على أنه شرك. وهذا الدليل أيضاً يصلح لعبادة

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾. **وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، **وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا** ....

الصالحين لأن أم عيسى ٱمرأة صالحة، وهنا قال الله تعالى: «﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾».

فلا يُعبد نبي ولا صالح من دون الله ولا معه.

قال: (**وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾) دلّ على أنه في زمن النبي ﷺ مَن يعبد الصالحين، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] واللات: رجل صالح، في زمن النبي ﷺ كان في الطائف. فمن عبدهم من دون الله فهو مشرك. وإذا كان الصالحون يخافون من الله فهم مخلوقون مربوبون فكيف يُعبدون معه.

قال: (**وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾) الآيات دليل على عبادة الأحجار؛ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ثلاثة أصنام من حجارة هذا دليل الأحجار.

ودليل الأشجار قوله: (**وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ**) قريب من الطائف (**وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا**)

وَيَنُوطُونَ بِها أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! ٱجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾». ....

يعني: يطيلون المكث عندها، (**وَيَنُوطُونَ بِها أَسْلِحَتَهُمْ**) يعني: يعلقون السلاح عليها للبركة، (**يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! ٱجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**) يعني: ٱجعل لنا شجرة نعلق عليها أسلحتنا وكذلك الملابس ونحو ذلك للبركة، قال: (**فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾») ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩] يعني: عبادتهم من دون الله: باطلة. فإذا كان كذلك فإنه لا فرق بين أي نوع من أنواع الشرك في وجوب المقاتلة والتوبة إلى الله ﷻ منه.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ. ....

قوله رحمه الله: (**القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ**) يعني: أشد شركاً من الأولين، يعني: مما يتغلظ به شرك المشركين في هذه الأزمان عن الزمن الأول: أنهم يشركون في الرخاء والشدة.

فمن الأمور التي اشتد بها شرك مشركي زماننا عن الأولين أن شركهم في الرخاء والشدة.

ومما يتغلظ أيضاً فيه شرك زماننا عن الأولين: الإلحاد في الدعاء، فلا يتخذون الأولياء شفعاء، وإنما يطلبونهم وينسون ربهم.

ويتغلظ شرك المشركين في هذه الأزمان في أمور كثيرة منها: الاستخفاف بالرب عز وجل، والاستهزاء بمن ينكر، ودعوة غير الله في الأماكن المعظمة كحول الكعبة، فتجد الشخص يطوف ويقول: يا حسين، يا زينب، يا محمد، وهكذا.

قال رحمه الله: (**لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ**) يعني: شركهم في الرخاء فقط، يعني: شخص ما عنده مصيبة، ما عنده كربة، يدعو اللات والعزى، ويطلب منها شفاعة من دون الله، (**وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ**) يعني: في الكربات، وركوب البحر، ونحو ذلك، يدعون ربهم وحده.

قال رحمه الله: «يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ» وهذا يدل على شيء من العقل فيهم، فالمشركون الأولون أعقل من المشركين الحاليين، وفيهم تعظيم للربوبية أكثر من المشركين الحاليين؛ مع أن الجميع في ضلال.

قال: (**وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ**) وهذا مما يتغلظ به شرك زماننا عن شرك الأولين السابقين، فإذا ركبوا البحر قالوا: يا حسين، وهو يغرق يقول: يا حسين، يأتيه زكام أو مرض شديد يقول: يا حسين، وهو في بيته في رخاء يقول: يا حسين. فشركهم دائم ـ والعياذ بالله ـ في الرخاء والشدة.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾. **وَاللهُ أَعْلَمُ**. ....

قال ﵀: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾) وهذا يدل على أن المشرك قد يسلم، فالآية «﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ» فهم ركبوا وهم مشركين، وإذا ركبوا في الفلك ولاقوا كروب البحر «دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» أسلموا، «فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾» عادوا للشرك مرة أخرى.

وقال القرطبي ﵀: من أراد بأن يوقن أن الله هو الواحد فليركب البحر[1]، لشدة كرباته من: تلاطم الأمواج، وظلمته، ونحو ذلك.

ويكون المصنف ﵀ بذكره هذه القواعد الأربع قد ذكر قواعد عظيمة يجب على المسلم أن يستحضرها، وأن يوقن بها، وأن يكون على معرفة بها. وهذا من نصح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ للأمة بتبسيط العبارة وتسهيلها، وقوة معانيها، وسهولة أسلوبها، مع ذكر الأدلة. فمما يتميز به الشيخ ﵀: ذكر الدليل على ما يقوله، رحمه الله رحمة واسعة.

(**وَاللهُ أَعْلَمُ**) وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤١/٧)، ونصه: «ومن أراد أن يوقن بالله أنه الفاعل وحده لا فاعل معه، وأن الأسباب ضعيفة لا تعلق لموقن بها، ويتحقق التوكل والتفويض: فليركب البحر».

فِهرِسُ المَوضُوعَاتِ